http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1705) السنة السابعة - السبت (23) كانون الثاني 2010

حق التفكير وحد التكفير

د. نصر حامد أبو زيد

لم يكن حرمان الدكتور نصر حامد أبو زيد من حقه في الترقية إلى درجة الأستاذية، على الرغم من كل نشاطه وكتبه العلمية وأبحاثه الأصيلة المتعددة التي تجاوزت الستين، ما بين كتاب وبحث ودراسة ومقال علمي، خلال ربع قرن من عمله في التدريس الجامعي بكلية الآداب/ جامعة القاهرة/ لم يكن تجريده من حقه كافياً، بل تم نقل موضوعه إلى خارج الحرم الجامعي باستغلال بشع لوظائف المساجد وطقوسها العبادية للنيل منه ومن نشاطه الفكري وجهوده البحثية، ووصل الأمر حد (تكفيره)، وليكشف ذلك أن هذا الموضوع لم يكن مسألة عدم الأهلية في الترقية العلمية فقط بل قضية، مؤسسية- خفية، لها ثوابتها وطموحاتها وأهدافها عبر الدعم المعنوي والمالي من جهات "متخفية" خلف الأفراد الذين التزموا الأمر وتم توزيع كتبهم، بطباعتها الراقية، مجاناً، في الجامعات والمساجد والشوارع العامة، إذ ارتفعت الأصوات للتنادي ضد (د. أبو زيد) بإقامة دعوى ضده بهدف إثبات (الرّدة) و تهييج الشوارع و الغرائز وتغييب العقل، ولينقل الأمر إلى المحاكم بدلاً من منابر البحث الجامعية وتقاليدها العلمية وليكشف هذا التنادي والتداعي والتهييج عن العداء التاريخي المستحكم ضد التفكير العلمي الحر، منذ مسألة "الشعر الجاهلي" لطه حسين و"القصص في القرآن الكريم" لمحمد أحمد خلف الله، و"مسألة الحكم في الإسلام" لعلي عبد الرازق ..الخ،

جاسم العايف

ولم تكن هذه الأمور اختلافاً في المناهج والرؤى والاجتهاد والتفكير وحرية البحث في الحرم الجامعي وقاعات الدروس، لكنه يتحول في عصور الانحطاط المتواصلة حتى الآن إلى نطاق المحاكمات والدعوة العلنية للقتل عبر سلاح (الرّدة)، و نافخي النار تحت غطاء (الإسلام السياسي) دامجين عن عمد بين حق (التفكير) الحر للكائن الإنساني وحد (التكفير) وسلاحه الذي لم يكن سوى القتل وهدر الدم بطريقة همجية.

تنحصر الاتهامات التي وجهت إلى (د. نصر حامد أبو زيد) بالعداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة والدعوة لرفضها وتجاهل ما أتت به. والهجوم على الصحابة ونعتهم بصفات لا تليق بهم والهجوم على القرآن وإنكار مصدره الإلهي و إنكار مبدأ الله وإنكار الغيب والدفاع عن الماركسية والعلمانية ونفي صفة الإلحاد عنهما ثم أخيراً الدفاع عن "سلمان رشدي" وروايته "آيات شيطانية" (ص ٦٧) وعلى وفق ذلك فقد تمت المطالبة العلنية في كتيب وضعه أحد سدنة التكفير معتبراً فيه أن (د. نصر حامد أبو زيد) كافر يخرج عن الملة، وأن على كل مسلم غيور على دينه أن يرفع دعوى أو يشارك في أقامتها ضده لإيقافه عن التدريس، لأنه يدرس الكفر في قسم اللغة العربية وأن على طلابه أن يمتثلوا لأمر الله- الذي أناب عنه هذا (الكاتب) بعد قرون من انقطاع الوحي- فلا يجالسونه للعلم ولا للتلقي على يديه، وأن على كل مسلم (ابتلي) بجيرة (أبو زيد)، الطاعن في القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين، بجيرة في السكن والعمل أو السفر ألا يعامله بيعاً أو شراءً أخذاً أو عطاءً، وأن على زوجته أن تعلم أنه يُحرم عند جميع الفقهاء وبلا استثناء معاشرة الزوجة المسلمة لزوجها المرتد فإذا عاشرته بعد معرفة الحكم فهو زنا صراح، تعاقب عليه عقوبة الزاني المحصن، وأن على الدولة أن تطبق حق الردة عليه وعلى أمثاله وأن يستتابوا أولا وألا قتلوا وأخذت أموالهم لبيت المال- الذي لا وجود له واقعاً إلا إذا كان المقصود فيه خزينة الدولة الحالية والتي هي أصلا ليست إسلامية حسب منطقهم بالذات!!- إذ لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر (ص٢٣٥).

لم تكن هذه الاتهامات وغيرها نتيجة الإطلاع الفاحص والدقيق لأفكار و نتاجات (د. نصر حامد أبو زيد) بل كانت جزءاً من مشروع التخلف والتشنج والتشويش والتخريف والهجمة الظلامية السائدة حالياً، إذ تم اقتطاع بعض النصوص والجمل والأفكار من سياقاتها و تقويل بعضها برؤى ومفاهيم متخلفة وسلفية وعدائية لأوليات وأصول البحث العلمي ونزاهة الضمير والتجرد عن الدوافع الشخصية، وتم توجيه هذه الطعون له عبر بحوثه وكتبه، وخاصة (نقد الخطاب الديني) و(دور الاتجاه العقلي للتفسير) و (مفهوم النص) و (الأمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية) ولم يتم التفريق والعزل بين الدين وجوهره، والفكر الديني الذي هو صناعة بشرية تلعب فيها المصالح الخاصة دورها الرئيس في التأسيس واستنباط الأحكام وتكييفها عبر التاريخ عامة وفي العالم العربي- الإسلامي خاصة خدمة لهذا الحاكم أو ذاك أو هذه السلطة أو تلك، لتبرير كل الجرائم والانتهاكات التي وقعت وتقع على الإنسان والمجتمع بسلطة الفقه المصنوع بشرياً و ارتباطاته بالمصالح الدنيوية للحكام و للفئات الحاكمة وتبرير كل الانتهاكات التي جرت وتجري عبر التأريخ الإنساني في الماضي والحاضر والمستقبل وخطابه-الفقه- الذي لا يكتسب من الدين قداسته ولا إطلاقه بل هو الاجتهادات البشرية المحكومة بالإمكانات والمنافع الخاصة والقدرات الإنسانية المحدودة زمكانيا وخلق حالة من التماثل أو التطابق بين الدين والفهم البشري له، وتحويل أي نقد للفهم البشري للدين ووضعه خارج توجهه الاجتماعي واعتبار هذا النقد موجهاً للدين ذاته، وتم التعامل مع نتاجات (د.أبو زيد) ورؤاه البحثية-العلمية لاستجلاء بنية أفكاره وشكلها التي من خلالها طرحَ موضوعاته بسؤ النوايا المسبقة لقراءته المعاصرة للنصوص الدينية، ومحاولة تأويلها من خلال الفحص والدراسة للمساهمة في بلورة خطاب معاصر على أساس "الاعتراف بالدين بصفته جوهرياً في أي مشروع للنهضة" في العالم العربي-الإسلامي بالذات، نافياً عن النص الديني ما علق به من خرافات وتشويهات، لما يحتويه جوهره- حسب د.ابوزيد- من عقلانية لتكون قوة دافعة للتقدم والعدل الاجتماعي والحرية والمساواة وممارسة السعي بآلية النقد للاقتراب من حدود وعي علمي بدلالة النصوص الدينية ذاتها، التي هي في جوهرها ضد محاولات الاستخدام النفعية والتزيفية للإسلام ولتراثه، لذلك فأن (د. نصر حامد أبو زيد) يتحرك على (ثلاثة محاور) الأول (دراسة التراث نقدياً) و الثاني (نقد خطاب الإسلام السياسي المعاصر) والذي يحول الدين لمجرد وقود في الفضاء السياسي-النفعي الراهن وثالثاً (محاولة تأسيس وعي علمي بدلالة النصوص الدينية) وهو في هذا يمارس مشروعيته على أرضية المعرفة الإنسانية بإنتاج الوعي وزرع هذا الوعي في عقول الطلاب، والمتلقين، مساهمة منه في الدفاع عن القيم النبيلة والحياة والمستقبل الإنساني.

لقد استمر الشجار الإعلامي في ما سمي بـ(قضية أبو زيد) وإزاء الخطابات التكفيرية الحدية التي كشفت أن التطرف جزء جوهري في نسيج بعض الخطابات الدينية -الاسلاموية المعاصرة باعتمادها منهج التقليد الذي يلغي العقل ويتعارض مع جوهر الشرائع السماوية كافة ويكشف بوضوح سيطرة ((العقل النقلي)) الذي يفتقد آليات التفكير و متحسساً من أي مساهمة بحثية نقدية باستغلال قضية التخصص في محاولة للدفاع عن ((مناطق محرمة)) محاطة بسواتر عدم الانتهاك بمواجهة محاولات التحليل المنهجي العلمي، حينما يتم التساؤل حول: "ما العلاقة بين قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة والإمام الشافعي، وأن عمل القسم المعني ينحصر في دراسة اللغة والأدب فقط"؟!. جاهلين أن جزء من مشاغل قسم اللغة العربية هو تحليل الكلام وأن ما كتبه الأمام الشافعي لا يمكن أن يكون مقدساً، وانه يدخل في الكلام، وهذا يندرج تحت مفهوم "علم تحليل الخطاب" ولا يتعارض مع بحوث ودراسات من زوايا مختلفة لنفس (الكلام) ولم يكن كتاب د.أبو زيد (الأمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية) دراسة علمية معاصرة في الفقه الشافعي بل دراسة في (نظرية المعرفة) كما يطرحها فكر الأمام الشافعي بالذات وكذلك البحث في أصوله النظرية ووسائله الاستدلالية وإجراءاته المنهجية(ص١١٧) لأن مجالات المعرفة ليست منعزلة؟. خاصة في سياق ثقافة محددة، وأن منهجية البحث العلمي ترى إن كل نشاط فكري بشري ليس نشاطاً مفارقاً لطبيعة المشكلات الاجتماعية- الاقتصادية-السياسية- التي تشغل الكائن الاجتماعي، لذلك لا يمكن التصور أو التعامل مع فكر الإمام الشافعي وأي فكر عموماً، معلقاً في فراغ والتعامل مع ما يطرحه و يصوغه من استنتاجات كونها حقائق "طبيعية لا تقبل النقاش والرّد" اعتمادا على أن (المفكر) كائن اجتماعي أولاً وأنه يمارس فعالياته الفكرية غير منعزل أو متعال عن طبيعته الإنسانية الاجتماعية أساساً.

يرى (د. نصر حامد أبو زيد) أن الصراعات والخلافات الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الفكرية، في تاريخ الدولة الإسلامية تم التعبير عنها من خلال "اللغة الدينية في شكلها الأيدلوجي" وبات النزاع على المصالح الدنيوية- السلطوية التي تعبر عنها الجماعات الفكرية، وكان ذلك يتم على "حلبة الخلاف حول قضايا التفسير والتأويل" للنص المقدس و الحديث المروي شفاهاً، عبر شبكة الرواة المعقدة والمصالح المعتمدة آنياً، والتي تتستر خلف هذا الحديث أو تصنيعه خدمة لأغراض دنيوية مصلحية في جوهرها، ولا يمكن في ضوء ذلك تناول تاريخ الفكر الإسلامي بوصفه نزاعاً حول ((الحقيقة)) بل هو "ليس إلا تعبيراً عن التاريخ الاجتماعي بمعناه العميق" ولذلك فإن سيطرة أي اتجاه فكري وغلبته لا يعني أن الاتجاهات الأخرى "ضالة أو كافرة" لأن هذه الآليات تندرج في طبيعة سياسية- سلطوية يتم اعتمادها لإلغاء وإقصاء الاتجاهات المخالفة-المعارضة ولا علاقة لها بمفهوم الحقيقة بمعناها الفلسفي (ص١٣٢) وبما ان للأفكار تاريخاً وحين يتم تجاهل ذلك والتنكر لهُ و طمسه تتحول تلك الأفكار إلى عقائد فيدخل في مجال الدين و جوهره ما ليس منه ويتحول الاجتهاد البشري وخطابه ذو الطابع الأيدلوجي نصوصاً مقدسة وهنا يحدث الافتراق بين "علم تحليل الخطاب" ومنهج القراءات الاجترارية التكرارية، التي لا تضيف شيئاً إلى ما سبقها، وباعتماد منهج علم تحليل الخطاب يفرق (د. نصر حامد أبو زيد) بين "النص الأصلي" و "النص الثانوي" ويرى أن (القرآن) في التراث الإسلامي هو "النص الأصلي فقط"، باعتباره "يمثل الواقعة الأولى التي نبعت وتراكمت حولها النصوص الأخرى" بداية بالنص الثانوي (الأول) الذي هو السيرة النبوية والأحاديث المروية، وان ذلك ليس تقليلاً من شأنهما بل هو "مصطلح وصفي لا يتضمن أي حكم قيمي" ولقد تحولت النصوص التي جاءت بها أجيال من العلماء والمفسرين والفقهاء والمجتهدين إلى نصوص ثانوية أخرى من حيث أنها شروح و تعليقات على النصين الأصلي والثانوي-الأول- وبفعل ظروف وعوامل ومصالح ومحددات اجتماعية تاريخية تحولت اجتهادات العلماء والأئمة ومدعي الاجتهادات خاصة في مجال علم التفسير والفقه إلى نصوص يدور حولها التفسير والشرح وتحدد مجال البحث في العمل على الترجيح بين الآراء الواردة فيها وتم التراجع بشكل تدريجي في التعامل مع النصوص الأصلية ولتتحول النصوص الثانوية المتعددة إلى نصوص أصلية وبذلك يتأكد الاستنتاج الذي يرى أن: "العقل العربي ظل يعتمد سلطة النصوص" ويؤكد (د. أبو زيد) أن النصوص في ذاتها لا تمتلك السلطة المعرفية وأن كل نص يحاول أن يطرح سلطته المعرفية الخاصة به وبما يقدمه للنصوص السابقة عليه وعند تبني أي جماعة للنص فأنه يتحول إلى سلطة ثقافية-اجتماعية-قامعة ذات إطار مرجعي لإخفاء المصالح وتجلياتها و التعبير عنها وتبريرها، ولم تكن دعوة د.أبو زيد إلى التحرر من النصوص المقدسة ذاتها بل من ((سلطة النصوص)) التي هي السلطة المطلقة والمرجعية الشاملة للفكر الذي يمارس القمع والهيمنة والسيطرة حين يضفي على النصوص دلالات ومعاني خارج الزمان والمكان والظروف و الملابسات والدوافع التي تترابط آنيا معها.

وفي ملاحق الكتاب الردود والمساجلات التي نشرها في حينه(د. نصر حامد أبو زيد) ضد الجهل والزيف والخرافة والدجل بشجاعة وثبات وبتميز العلماء الحريصين على نقاء الفكر، بعيداً عن الضغائن والتخوين. ووثائق أخر بما فيها عريضة دعوى الردة والتكفير، وطلب التفريق بينه وزوجته السيدة د. ابتهال يونس، الأستاذة في الجامعة ذاتها، اعتماداً على تقارير سدنة الإرهاب ووعاظ التكفير، الذين يوغلون في تعميم المهانة والذل الإنسانيين، ويضم الكتاب دفوعات نخبة من المحامين والمحاميات الذين تطوعوا- دون أتعاب- دفاعاً عن الحق والعدل والكرامة الشخصية وقرار المحكمة العادل برفض الدعوى، أول الامر، والذي عُد حينه تصدياً للافتراءات والأكاذيب التي تحاول تشويه الحياة الإنسانية والثقافة الحرة التي تعتمد العقل لا النقل.

×د.نصر حامد أبو زيد/ "التفكير.. في زمن التكفير.. ضد الجهل والزيف والخرافة"القاهرة- مطبعة مدبولي / مستنسخ/بلا تاريخ الإنشاء ٢٠٠٥/٠٩/١٥ ٠٣:٥٢:٠٠ م

تلويحة المدى

تحطيم التماثيل في العراق الحديث(٢)

(تمثال النحات البريطاني كوسكومب جون)

شاكر لعيبي

أزيح الستار يوم ٤ كانون الاول ١٩٢٣ عن تمثال الجنرال ستانلي مود الذي أحتل العراق، وكان موقعه امام بوابة السفارة البريطانية في الشواكة من جانب الكرخ في بغداد. وهو واحد من ثلاثة أعمال نحتية كانت موجودة في العاصمة حتى صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، عندما هجمت عليها الجموع المنفعلة وحطمتها. يُعزى إنجاز التمثال في بعض الكتابات إلى فنان إيطالي، وهذا خطأ جسيم. فقد نفذ الإيطالي بييترو كانونينكا، كما أوضحنا في كلمة سابقة، عملين، الأول للملك فيصل والثاني لعبد المحسن السعدون، رئيس الوزراء السابق. والأخير تعرّض للسرقة بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣.

تمويل تمثالي الغازي ستانلي مود والملك فيصل قام بها الشعب العراقي نفسه، مباشرة أو مُداوَرة. يذكر السياسي ناجي شوكت الجهود التي سبقت قيام تمثال فيصل قائلا: "عندما دخلتُ وزيراً للداخلية في حكومة نوري السعيد الثانية رفع إليّ وجهه وسألني قائلاً: ولكن من أين ستأتي بالمال اللازم؟. فأجبته: إنكم إذا استصوبتم الفكرة فإن إيجاد المال سيكون سهلا وبعد أن رجعت إلى ديوان الوزارة اتصلت بمتصرفي الألوية كافة وطلبت إلى كل متصرف أن يبعث بمبلغ يوازي خمس ميزانية البلدية كمساهمة لإقامة النصب. فلما تمّ جمع الأخماس أضافت أمانة العاصمة ما لزم من المبالغ لإكمال الكلفة التي بلغت حوالي خمسين ألف روبية". استغرق العمل فيه ثمانية عشر شهرا في إيطاليا وارتفع في ساحة الملك فيصل الأول آنذاك في الصالحية بجانب الكرخ.

أما تمثال الجنرال مود فقد وقع جمع المال اللازم له من الجباية التعسفية لتمويله في جميع أنحاء العراق، حتى أنه يُذكر ان لوحة منحوتة من الصخر كانت موجودة على أحد جدران بناية ثانوية العمارة للبنات، تحطمت عند هدم البناية مكتوب عليها (جمع من أهل العمارة مبلغ من المال لبناء تمثال للجنرال مود) ولكن أهل المدينة رفضوا دفع المبلغ للتمثال وبنوا به تلك المدرسة.

إن تمثال الجنرال مود هو في الحقيقة من أعمال البريطاني السير كوسكومب جون GOSCOMBE JOHN (١٨٦٠-١٩٥٢) وقد أنجزه عام ١٩٢١. وهو السير وليام كوسكومب جون Sir William Goscombe John. ولد في كارديف Cardiff، ويلش في بريطانيا. في شبابه كان يساعد والده، وهو نحات على الخشب، في ترميم قلعة كارديف. ذهب الى لندن عام ١٨٨٢ ليدرس في مجمع ونقابات مدرسة الفن اللندنية بأشراف جول دالو ووليام سيلفر فريث، وبعدئذ في المدارس الأكاديمية حيث فاز بالميدالية الذهبية وسافر في منحة دراسية عام ١٨٨٧. عام ١٨٩٠-٩١ درس في باريس. وتزوّج من سيدة سويسرية المَوْلد، مارث وايس. انتدب كوسكومب لتنفيذ عدّة أنصاب عامّة وتماثيل لشخصيات معروفة مثل جون كاري John Cory. عام ١٩٢١ أنجز النصب التذكاري في بوابة سونلايت لموظفي شركة المقتولين في الحرب العالمية. ونحت بوتريه لورد وسيدة ليفير Lever. استلم ميدالية ذهبية في باريس عام ١٩٠١، كان عضوا في الاكاديمية الملكية عام ١٩٠٩، وفارسا عام ١٩١١ وصار عضوا مراسلا للمعهد الفرنسي. يسعى فنه، كما يقول النقاد، لملامسة السمو الصارم للأسلوب القوطي ويتميّز بالبراعة وبالنموذج الدقيق.

بين أفضل أعماله يُذكر "مورفيوس" و "القديس يوحنا المعمدان" الموجودين كليهما في كاريف غاليري، و "الجنيّ الصغير" (غلاسكاو غاليري)، و "طفل يلعب" (تيت غاليري)، و "دراسة لرأس" (ليفيربول غاليري). من بورتريهاته التي هي صور مخلصة لنماذجها: دوق دوفونشاير، الملك أدوارد السابع، الأمير كريستيان فيكتور، المؤرخ ليكي، وتمثال فروسية لشخصيات عدة. ومن بين أنصابه التذكارية هناك نصب ماركيز سالزبوري، والسير أرثور سوليفان... ألخ.

من الصور النادرة الملتقطة للمثال صورة ما زالت موجودة بعدسة المجنّد البريطاني يومها هيربرت ميرسير.

مَنْ كان في العراق يعرف، بل يأبه لمنجزات هذا النحات البريطاني؟ من يعرف اسمه اليوم؟ من قرأ أسمه على تمثال الجنرال الغازي مود بالأمس؟ لا أحد تقريباً.

في ذكرى مرور مئة عام على ولادته:

أعمال اوجين يونسكو تستعيد نضارتها

ترجمة: عدوية الهلالي

العبث الذي كان من ابرز فرسانه ..

احتفظ يونسكو طوال حياته بجزء من طفولة لم تجد لها مكانا في أعماق الكثير من الفنانين والأدباء والشعراء الكبار اذ كان لديه نظرة صافية و(شيطنة) صبي صغير ..

ولد يونسكو في تشرين الثاني من عام ١٩٠٩في مدينة سلاتينا الرومانية ،ووصل الى باريس في آذار عام ١٩٩٤.

بالنسبة له ،كان الهم الميتافيريقي في الادب ممتزجا بالفكاهة ماحتجزه طويلا في خانة مسرح العبث ،ليصبح واحدا من ذرية كافكا كرفيقه بيكيت ..ففي عام ١٩٥٠، خرجت مسرحية (المغنية الصلعاء) الى النور واعقبتها مسرحية (الدرس) في عام ١٩٥١،وفي عام ١٩٥٧ ، تم تقديمهما على مسرح هوشيت فلم تغادر ملصقاتهما الجدران وقتا طويلا.

حين سعت وكالة BNF للاحتفال بمرور مئة عام على ولادته ، قدمت ماري فرانس يونسكو – ابنة الكاتب اوجين وينسكو – لها وثائق مهمة جدا وغير منشورة في الغالب ، في الوقت الذي لم تكن فيه والدتها روديكا راضية عن اقتحام حياة زوجها الذي كان معقدا جدا في ما يخص علاقته بالشهرة والأجيال القادمة التي قد لا تحافظ على عمله وتاريخ حياته.

في تشرين الثاني المنصرم ، مرت مئة عام على ولادة الكاتب المسرحي اوجين يونسكو، فكانت فرصة لتقديم عروض لبعض مسرحياته مع عدد من الأفلام الوثائقية والإعلانات وبالتالي للفنانين والشعراء الكبار فرصة حقيقية لأحياء مسرح بهذه الطريقة منحت ابنة يونسكو معجبيه فرصة الاطلاع على كل ما يخص حياته من نصوص ومواضيع ووثائق صوتية ورسائل ومخطوطات مختلفة .وبرامج عن إبداعاته في فرنسا والعالم مع تصاميم وصور عدة.

لم يكن يونسكو كاتبا مرفوضا او ملعونا وكان قد عرف الفقر والحرمان في عام ١٩٥٠ لكن النقد الأدبي فهمه بشكل سيء رغم ان أعماله الأدبية حققت اصداءا مدوية حتى ابعد الحدود منذ عام ١٩٥٠ وحتى سنوات التسعينات وامتلأت الصالات بجمهوره الخاص.

وفي عام ١٩٥٩ ، اتسعت دائرة شهرته بشكل كبير مع تقديمه مسرحية (الخرتيت) ، وهي المسرحية التي تتحدث عن السلطة الواحدة وكان قد تم تمثيلها في دولسدروف ..وفي العام التالي، أخرجها في وقت واحد كل من بارو في مسرح اوديون، واورسون ويلز في مسرح رويال كور في لندن..

وفي عام ١٩٦٦ ، انضم يونسكو الى قائمة الأدباء الذين قدمت فرقة الكوميدي فرانسيز الشهيرة أعمالهم من خلال مسرحيته (العطش والجوع) ولم تتوقف مختلف الفرق المسرحية عن تقديم إعماله حتى الفرق الصغيرة منها فضلا عن دراسة أعماله وتقديمها في معاهد التمثيل في مختلف أنحاء العالم من استراليا وحتى اليابان ما يثبت بان هناك جيلاً جديداً نهض الآن ليدافع عنه.

ضمن الاحتفالية التي اقامتها وكالة BNF ، قدم المخرج الشاب جان لوك لاغارس مسرحية (المغنية الصلعاء) بينما قدم ايمانويل ديمارسي مسرحية (الخرتيت) وقدم لوك بوندي مسرحية (الكراسي) في نانتير ، ما يدفعنا الى التفكير بأن أعمال يونسكو استعادت نضارتها وشبابها ثانية ،خاصة بعد صدور كتاب عن يونسكو عن دار غاليمار للنشر وكتاب آخر عن المكتبة الوطنية في فرنسا.

باحث فني يخرج الراحلة رومي شنايدر من الجحيم !

المدى الثقافي

هل يمكن ان نصدق ظهور الفاتنة الراحلة رومي شنايدر في فيلم جديد ...؟...الباحث السينمائي سيرج برومبيرج سيجعل من ذلك حقيقة واقعة عبر تقديم فيلم وثائقي وآخر فني يتناولان قصة فيلم (الجحيم) غير المكتمل للمخرج هنري جورج كلوزو والذي جسدت رومي شنايدر شخصيته الرئيسية!.

وكان برومبيرج قد نقب في ملفات الماضي وعثر على ١٥٠ علبة من افلام لم يرها الجمهور منذ نصف قرن مكدسة لأسباب قانونية ومحفوظة بعناية في الارشيفات الفرنسية تضم ١٥ ساعة من الصور الصامتة والتي اقتبس منها كتابه الرائع عن فيلم (الجحيم) المليء بالالغاز والقادر على تغذية مخيلات هواة السينما بصور ساحرة مطلقا عليه عنوان (رومي في الجحيم)..

كان فيلم (الجحيم) طويلا وملهما لكن العمل فيه توقف بعد ثلاثة اسابيع فقط بسبب مرض مخرجه الذي جعل من فيلمه مغامرة مفرطة ومرعبة وضمن ميزانية محدودة محولا حلمه الجميل الى كابوس فبقدر ماسعى الى الاقتراب من الكمال ،احرق هنري كلوزو اجنحته –كما يرى برومبيرغ ..

كان كلوزو قد اخرج عدة افلام ناجحة من بينها (القاتل الساكن في الحجرة ٢١) ،(جزاء الخوف) ، (الغراب)،قبل ان يقع ضحية حالة اكتئاب ويعتزل الناس لمدة اربع سنوات في تاهيتي ليكتب خلالها قصة فيلمه (الجحيم) ويعتبره ثورة في عالم السينما. اختار كلوزو رومي شنايدر (٢٦ عاما) وسيرج ريجياني (٤٢ عاما) ليجسدا ادوار البطولة ، ولشدة اعجابه بشنايدر فقد عمل على تغيير نهاية النص الاصلي لهذه الدراما المكتوبة عن الغيرة ..ففي الفيلم نجد مارسيل بريور (سيرج ريجياني) وهو صاحب فندق صغير في احدى الضواحي يشك في سلوك زوجته اوديت (رومي شنايدر) دون ان يحصل على ادلة على خيانتها لكن شكوكه الرهيبة تعذبه فيستولي عليه الجنون ..وكان كلوزو ينوي تصوير فيلم عن المخ المريض للبطل ومايدور فيه من ذهان هذياني في صورة وسواس لكن شركة كولومبيا خصصت له ميزانية محدودة جدا ..وخلال ستة اشهر صور كلوزو التجارب التمهيدية للفيلم في ستوديوهات بولونيا محولا شنايدر الى وسيلة للأغراء بوجه مليء بالماكياج وبملامح شبقية وشهوانية ومع استعداد كامل لتنفيذ جميع اوامر كلوزو السينمائية حتى بظهورها عارية في احد المشاهد رغم احتواء عقدها على بند ترفض فيه التعري في الفيلم ..

بدا تصوير الفيلم في تموز من عام ١٩٦٤ وفي فندق بالاك حيث قاد كلوزو ثلاث فرق من الممثلين و٦٠ فردا من التقنيين ، لكن رغبته المفرطة في بلوغ الكمال كمخرج سينمائي دفعته الى التصرف بشكل فوضوي ومستبد مع العاملين في الفيلم فكان يعاني من ارق مزمن فيوقظ التقنيين ليتحدث معهم عن السيناريو مع اعادة كتابة صفحات لليوم التالي ..بهذه الطريقة توترت علاقته مع ريجياني لدرجة ان دخل الى المستشفى بسبب اصابته باكتئاب حاد ، بعدها اصيب بحمى مالطا وساءت حالته الصحية ليتوقف تصوير الفيلم ماجعل خبراء التامين يقررون بان الفيلم لن يحقق شيئا ويسدل عليه الستار منذ تلك اللحظة ...

وبعد خمس واربعين عاما ، يعود سيرج برومبيرغ ليزيل الغبار عن هذا الفيلم الشبيه بالمعجزة ويستخرج مشاهد صامتة بالاسود والابيض تظهر فيها الجميلة رومي شنايدر وهي تتزلج على الماء في بحيرة اصطناعية في غارابي بينما يجري سيرج ريجياني على جسر وهو يلهث من التعب والوهن ..وانطلاقا من هذه الوثائق الصورية بنى برومبيرغ فيلمه الوثائقي الاخاذ مضيفا اليه شهادات الاحياء ومقابلات تتحدث عنه مع كوستا غافراس الذي اسهم في تنفيذ الفيلم منذ بداية اعداده وبيرنار ستورا الذي كان متمرنا ووليم لوبتشانسكي الذي كان مدير تصوير ..يغوص فيلم برومبيرغ في عمق جنون كلوزو في رحلة بحثه عن الكمال وفي وساوسه وهويبحث عن صيغ سينمائية جديدة يضاف الى ذلك تقديمه كتابه الرائع (رومي في الجحيم) الذي نشرته دار نشر البان ميشيل.